الإحالة بالروابط اللفظية وأثرها في تماسك النص
خطبة الوسيلة (أنموذجا)

م.د. علي شاكر جواد المحنه
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)
للعلوم الإسلامية الجامعة – أقسام بابل

الملخص :

تمثلت وظيفة (علم لغة النص) الأساسية في إظهار أوجه التماسك بين وحدات النص اللغوية والكشف عن علاقات الربط النحوي والترابط الدلالي ، والعلاقات الإحالية ، والإشارية وغيرها من العلاقات المتمثلة في مستوى الجملة من جهة ، والمتجاوزة مستوى الجملة من جهة أخرى ؛لذا فأن هذا البحث يهدف بشكل رئيس إلى دراسة أثر الإحالة في تماسك وترابط النص ، وقد اخترنا لذلك خطبة من خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والمسماة خطبة (الوسيلة) أنموذجا للدراسة ،للكشف عما ينتجه النص الأدبي من أسرار أدبية وفنية استنادا إلى أسس لغوية وموضوعية . ويتم ذلك بأدوات عدة ، ومنها الإحالة . فهي إحدى الوسائل المهمة لتماسك النص ؛ ذلك لأنها تعمل على تقوية الروابط بين أجزاء النص وتجعلها أكثر رصانة وتماسك وعلى ما تقدم سلك الباحث في دراسة الإحالة في النص مسلكين : أولهما: الإحالة بالضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة ، والثاني : الإحالة بالتكرار.

التمهيد : يعد الربط بين المفردات اللغوية داخل التركيب النحوي، وبين أجزاء النص الواحد ، من أهم أسس النظام التركيبي ، بل يستحيل فهم المعاني الواردة في الكلام من دون وجود هذا الربط بين أجزائه سواء كان هذا الكلام جملة أم تركيبا نحويا واحدا ، أو كان نصا من النصوص ؛ إذ لابد من أن يتوفر الترابط بين أجزاء النص ومفردات التركيب حتى يمكن أن تؤدي أجزاءه مجتمعة ومترابطة معنى كليا مرادا منه [١]. وقد تكون الروابط لفظية أو معنوية ، وعن طريق هذا الترابط الحادث بين التراكيب والجمل والفقرات تحدث المعاني التي يريد المتكلم أو الكاتب أن يضيفها على كلامه ، ويتكون عن طرق ذلك أيضا النص الذي يؤدي معنى عاما أو كاملا ، سواء كان هذا النص شعرا أم نثرا . ((لذا تبرز أهمية التماسك في أن الكلام لا يكون مفيدا إذا كان مجتمعا بعضه مع بعض دون ترابط))[٢] . وعليه فقد تمثلت وظيفة علم لغة النص الأساسية في إظهار أوجه التماسك بين وحدات النص اللغوية والكشف عن علاقات الربط النحوي والترابط الدلالي ، والعلاقات الإحالية ، والإشارية وغيرها من العلاقات المتمثلة في مستوى الجملة من جهة ، والمتجاوزة مستوى الجملة من جهة أخرى[٣].

وتأتي الإحالة لتكون واحدة من وسائل المهمة للربط ؛ إذ تستطيع أن تمزج بين الكثير من الوسائل والنماذج التي يعتمد عليها بناء النص .

معنى الإحالة: فمن الناحية اللغوية :الإحالة مصدر الفعل (أحال) ، والمعنى الأعم لهذا الفعل هو التغيّر ونقل الشيء إلى شيء آخر[٤] .والتغيّر والتحوّل نقل الشيء إلى غيره ليس ببعيد عن الاستعمال الدلالي للإحالة النصية ؛ ذلك لان التحوّل والتغيّر ونقل الشيء من حالة إلى أخرى لا يتم إلاّ في ظل علاقة قائمة بينهما، وتلك العلاقة هي التي سمحت بالتغير، وأعطته المسوغ. وأما اصطلاحاً : فالإحالة مصطلح قديم ، لكنه جديد بمفهوم استخدامه والتوسع فيه وفي تطبيقاته في علم اللغة النصي ، ولهذا لم يؤتى بتعريف نهائي له[٥].وجاء في هذا المصطلح تعريفات عدّة: فقد عرفها (دي بوجراند) بأنها ((العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات))[٦]. ويقول جون لاينز ((إن العلاقة القائمة بين المسميات هي علاقة إحالة : فالأسماء تحيل إلى مسميات))[٧]. وعرفها كلماير بأنها ((العلاقة القائمة بين عنصر لغوي يطلق عليه (عنصر علاقة) وضمائر يطلق عليها (صيغ الإحالة)))[٨] ويرى الدكتور محمد خطابي أن المقصود بالإحالة وجود عناصر لغوية لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل وإنما تحيل إلى عنصر آخر ،لذا تسمى عناصر محيلة [٩] . وكما نلحظ أن اغلب التعريفات قد أشارت صراحة أو ضمنا إلى وجود نوع من العلاقة ، وطبعة هذه العلاقة على ما يرى الدكتور محمد خطابي : دلالية تقتضي التطابق بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه من حيث الخصائص الدلالية[١٠] ، وذلك أن العناصر المحيلة غير مكتفية بذاتها من حيث التأويل بل تكتسي دلالتها بالعودة إلى ما تشير إليه لذا وجب قياسها على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام وبين ما هو مذكور في مقام آخر[١١] . ومن هذه التعريفات يمكن أن نستشعر أدوات عدة للإحالة ، ومنها الأدوات اللفظية التي أجيز لها من خلال ما تقدم من تعريفات أن تكون من وسائل وأدوات الترابط والتماسك النصي وسيظهر ذلك عن طريق بيان أثراها في تماسك النص الذي انتخبناه لمعرفه ذلك الأثر ، وهو نص لخطبة من خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –عليه السلام– والمسماة (خطبة الوسيلة)، وهي خطبة خطبها أمير المؤمنين (ع) بالمدينة بعد سبعة أيام من وفاة النبي الأعظم (ص) وذلك حين فرغ من جمع القرآن وتأليفه .وقد وردت هذه الخطبة في كتاب الكافي في الجزء الثامن والمسمى (روضة الكافي) للشيخ الكليني – رحمة الله عليه– بسند متصل[١٢] .

الإحالة بالضمائر والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة [١٣]:

مما تقدم من التعريفات التي ذكرت سلفا يتضح أن الإحالة هي علاقة بين عنصر لغوي وآخر بحيث يتوقف تفسير الأول على الثاني ؛ لذا فان فهم العناصر الإحالية التي يتضمنها

نص ما يقتضي أن يبحثه المخاطب في مكان آخر داخل النص أو خارجه . وعليه ميّز الباحثون بين نوعين من الإحالة في هذا الصدد؛ الإحالة الخارجية والإحالة الداخلية. ويقصد بالإحالة الخارجية : ذلك النوع الذي يوجه المخاطب إلى شيء أو شخص في العالم الخارجي .إذ تسهم في خلق النص باعدّها تربط اللغة بسياق المقام [١٤] . و ورد في قوله – عليه السلام– الذي أشار به إلى الذين خانوا العهد ونقضوا البيعة التي بايعوه إياه على الخلافة في غدير خم من بعد وصية من رسول الله (ص) والتي أتم بعدها الدين على الخلق ولكنهم انقلبوا على الوصية ، فقال ((**لم يك ذلك بعده إلا كلمحة من خفقة أو وميض من برقة إلى أن رجعوا على الأعقاب وانتكصوا على الأدبار وطلبوا بالأوتار وأظهروا الكتائب وردموا الباب وفلّوا الديار وغيروا آثار رسول الله صلى الله عليه وآله ورغبوا عن أحكامه وبعدوا من أنواره واستبدلوا بمستخلفه بديلا اتخذوه وكانوا ظالمين**))[١٥]. ففي ضمائر الفاعلين الواردة في الجمل الفعلية(رجعوا وانتكصوا وطلبوا واظهروا وردموا وفلّوا و وغيروا...)إشارة خارجية واضحة للقوم الذين نكثوا العهد والبيعة والمتآمرين على الحق من رجالات سقيفة بني ساعدة ، فالـ(واو) في كل فعل من الأفعال المذكورة آنفا إشارة لأولئك المتآمرين والذي اكتفى الإمام بالإشارة إليهم دون التصريح بأسمائهم كون المخاطب يفهم المقصود. ناهيك عن الترابط النصي الذي حققته ضمائر الفاعلين بين عبارات النص ، وكذلك بين النص والفكرة العامة ،من ورائها وهي مكر وغدر أهل السقيفة ومن سار بركبهم .

أما الإحالة الداخلية . فتستعمل لتدل على ذلك النوع الذي يُحال به المخاطَب على عنصر لغوي داخل النص، وفيها يشير العنصر المحيل إلى عنصر آخر في النص نفسه متقدم عليه وتسمى إحالة قبلية أو لاحق له وتسمى إحالة بعدية[١٦].

ولهذا النوع حضور واضح في خطبته –عليه السلام– مما يدل على ترابط هذه الخطبة وتماسكها. وكان للضمائر الظاهرة الحظ الوافر من ذلك ، فقد وردت بشكل كثير ومتنوع ومنها ما ورد في بداية الخطبة التي افتتحها بالحمد لله والثناء عليه قائلا – عليه السلام–((الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال إلا وجوده وحجب العقول أن تتخيل ذاته لامتناعها من الشبه والتشاكل بل هو الذ لا يتفاوت في ذاته ولا يتبعض بتجزئة العدد في كماله، فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن ويكون فيها لا على وجه الممازجة، وعلمها لا بأداة، لا يكون العلم إلا بها وليس بينه وبين معلومة علم غيره به كان عالما بمعلومة، إن قيل: كان فعلى تأويل أزلية الوجود وإن قيل: لم يزل، فعلى تأويل نفي العدم، فسبحانه وتعالى عن قول من عبد سواه واتخذ إلها غيره علوا كبيرا.نحمده بالحمد الذي ارتضاه من خلقه وأوجب قبوله على نفسه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، شهادتان ترفعان القول وتضاعفان العمل، خف ميزان ترفعان منه وثقل ميزان

توضعان فيه وبهما الفوز بالجنة والنجاة من النار والجواز على الصراط وبالشهادة تدخلون الجنة وبالصلاة تنالون الرحمة، أكثروا من الصلاة على نبيكم " إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما " صلى الله عليه وآله تسليما))[١٧] فنرى الإحالة بالضمير المتصل (الهاء) واضحة في كلمات كثيرة منها (وجوده وذاته وكماله ومعلومه وسواه وغيره ونحمده وارتضاه....) وهي إحالة قبلية تعود على لفظ الجلالة المتقدم في أول النص. والضمائر هنا ((تقوم مقام الأسماء أو عبارات الأسماء التي تشاركها المدلول)) [١٨] مما يعفي من التكرار ، ويجعل الجمل المتعدد تظهر كجملة واحدة مما يضفي التماسك على النص مهما يكن طويلا ، ذلك أن المحال إليه الموجود في بداية النص يشكل ملمحا واضحا ومحورا رئيسا في النص ،وتتضح الفقرات والجمل اللاحقة له كلما حوت عنصرا إحاليا يعود ذلك على الاسم؛ وكأن هذا الاسم لم يزل يتكرر مما يجعل الذهن متواصلا مع النص . وجاءت ضمائر الفصل لتعطي النص تكاملا في السبك والربط ووحدة للهدف والفكرة ، إذ نلحظ ذلك في قوله –علي السلام – من الخطبة ذاتها :((**أيها الناس إنه لا مال [هو] أعود من العقل، ولا فقر [هو] أشد من الجهل، ولا واعظ [هو] أبلغ من النصح**))[١٩] فقد وردة الإحالة بالضمير (هو) وهي إحالة قبلية على ما تقدمه من أسماء (مال ، والجهل، وواعظ) وقد استفيد من هذا الضمير زيادة على الربط التأكيد [٢٠].وسمى النحاة هذا النوع من الضمائر ضمائر الفصل وكذلك العماد، ففصلا ((لأنه فصل بين الخبر والتابع ، وعمادا؛ لأنه يعتمد عليه معنى الكلام، وأكثر النحاة يقتصر على هذه الفائدة)) [٢١] . ولكن نجد في الضمير (هو) ميزتان، الأولى: الغياب عن دائرة الخطاب ، والثانية: القدرة على إسناد أشياء معينة للمحال عليه ، وهاتان الميزتان جعلتا هذا الضمير من ابرز عوامل السبك النصي[٢٢] . وكان للتسلسل الضميري اثر بارز في ربط أجزاء النص ؛ إذ تعدّ ظاهرة التسلسل الضميري بوجه خاص شرطا من الشروط النحوية التركيبية الأساسية لتماسك النص ،فأشكال التسلسل الضميري تلك هي الوسيلة الحاسمة لتشكيل النص ومن ثم يعرف النص بأنه نسيج من الكلمات يرتبط بعضها ببعض عن طريق تسلسل ضميري تجمع العناصر المتباعدة والمختلفة في كلٍّ واحد ، وهو ما نطلق عليه مصطلح النص[٢٣]. وتؤدي الموصولات وظيفة السبك للنص عامة؛ لأنها تربط أجزاء الجملة بعضها ببعض، أو بين الجمل المختلفة ، كذلك تربط النص بالسياق المقامي الذي قيل فيه[٢٤] . فالاسم الموصول وسيلة من وسائل التماسك النصي ؛لاستلزامه وجود جملة بعده ، وعادة ما تكون هذه الجملة فعلية ، وقد يعطف على هذه الجملة بعدة جمل فيطول الكلام ، ويكون نصًا كاملا ، ويظل مرتبطًا كله بالاسم الموصول الأول . ومن جهة أخرى يعد الموصول أداة من أدوات الإحالة فيرتبط بمذكور سابق ، وقد يتكرر بصورة واحدة ، ويظل مرتبطًا بهذا

المذكور السابق محدثًا نسقًا واحدًا للنص كله .نجد ذلك في قوله عليه السلام : ((**الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال إلا وجوده وحجب العقول أن تتخيل ذاته لامتناعها من الشبة والتشاكل بل هو الذي لا يتفاوت في ذاته ولا يتبعض بتجزئة العدد في كماله**)) [٢٥].فقد ورد الاسم الموصول في النص السابق مرتين وفي كلتيهما إحالة قبلية إلى الاسم الأول (لفظ الجلالة) الوارد في مقدم الخطبة ، والذي هو محور النص في الخطبة والغاية الأولى للإمام – عليه السلام– وكثيرا ما يتكرر وصفا لله (عز وجل) في مقام إثبات ألوهيته ووحدانيته ، وورد اقترانه بالضمير(هو) ليكون معه رابطة نصية قوية تفيد التخصيص والتوكيد على تفرده تعالى بتلك الصفات وقد حقق ذلك مع الضمائر الكثيرة التي أشار بها الإمام–عليه السلام– إلى نفس الغاية تماسكا قويا بسبب رجوعها كلها إلى مذكور واحد وهو الله (عز وجل).

وتعد أسماء الإشارة وسيلة من وسائل الاتساق النصي الداخلة في نوع الإحالة فمنها ما يدل على الزمان (الآن وغدا) ومنها للمكان (هنا وهناك) ،ومنها على البعد (ذلك وتلك)، ومنها للقرب (هذا وهذه) فهي تقوم بالربط القبلي والبعدي ،ومن ثمة تسهم بالاتساق النصي[٢٦] .

وقد حصل ذلك في مواضع عدة من خطبته –عليه السلام– باسم الإشارة (ذلك) من دون غيرها ومنها في قوله:((وقال: في محكم كتابه: " من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا "[٢٧] فقرن طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته فكان ذلك دليلا على ما فوض إليه وشاهدا له على من اتبعه وعصاه وبين ذلك في غير موضع من الكتاب العظيم فقال تبارك وتعالى في التحريض على اتباعه والترغيب في تصديقه والقبول لدعوته: " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم "[٢٨]فإتباعه صلى الله عليه وآله محبة الله ورضاه غفران الذنوب وكمال الفوز ووجوب الجنة وفى التولي عنه والإعراض محادة الله وغضبه وسخطه والبعد منه مسكن النار و ذلك قوله: " ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده "[٢٩] يعني الجحود به والعصيان له فإن الله تبارك اسمه امتحن بي عباده وقتل بيدي أضداده وأفنى بسيفي جحاده وجعلني زلفة للمؤمنين وحياض موت على الجبارين وسيفه على المجرمين وشد بيَّ أزر رسوله وأكرمني بنصره وشرفني بعلمه وحباني بأحكامه واختصني بوصيته واصطفاني بخلافته في أمته))[٣٠]. فقد ورد اسم الإشارة (ذلك)في هذا النص ثلاث مرات ، وقد كان أثره في ربط النص سواء فرادا ام مجتمعات قويا يزيد في تماسك العبارات ومن ثم تماسك النص كاملا ومن ثم ربط الجميع بالهدف أو الغاية الأساس من كل ذلك . فلو أخذنا كل واحد منه على حدة نراه جاء اختزالا للكلام واقتصادا للجهد واجتنابا للتكرار حين أحال إلى ملفوظ يحتوي عناصر إشارية معجمية ومجموعة أحداث تلتقي كلها في نتيجة واحدة ينبني عليها الحدث أو المعنى الذي يحيل عليه العنصر الإحالي الجامع لكل ما تقدم عليه ، فنجد في (ذلك) الأولى إحالة قبلية لما تقدم من قوله –

عليه السلام– المسند بقول الله تعالى من سورة النساء ، فاختصر كل ما تقدم واختزله باسم الإشارة (ذلك) فقد استغنى باسم الإشارة عن كل ما تقدم فحقق بذلك ترابطا نصيا بين الجمل المكونة للفكرة التي سبقت اسم الإشارة وهي أن طاعة الرسول(ص) طاعة لله – عز وجل – ومعصيته معصية لله – جل وعلا – وان نقض البيعة هي معصية لله ورسوله . ثم ورد اسم الإشارة (ذلك) مرة أخرى ليزيد من قوة الربط وتماسك النص إذ حمل هنا وضيفتين في آن واحد : الأولى كونه إحالة قبلية اختزل فيه كل ما تقدم من اسم الإشارة الأول وما أحال عليه ، والثانية : ورد ليربط بين النصوص ووحدة الفكرة التي تقدمت عليه والنصوص التي جاءت بعده ، والمتمثلة بقول الإمام –عليه السلام– وما يؤيده من قول الله –عز وجل– في سورة آل عمران ، فتجاوز بذلك حدود الربط بين الجمل إلى الربط بين أجزاء النص التي تتمحور في فكرة واحدة وهو ترك القوم لطاعة الله وطاعة الرسول في ما اقترفوه من جرم بحق علي (عليه السلام) . ثم ورد اسم الإشارة (ذلك) في المرة الثالثة من النص ذاته ليجعل النص على قدر عال من السبك والترابط والتماسك النصي إذ تجاوز حدود النص الواحد إلى نصوص متعددة وقد عاد عليها اسم الإشارة كلها فحقق بذلك اختصارا وترابطا رائعا زاد وحدة الفكرة رصانة وصلابة ، فقد حمل اسم الإشارة هنا إحالة قبلية لكل ما تقدم مما اختزل في الإحالتين السابقتين ومن ثم ربطهما بما جاء بعده من سورة هود وكلام الإمام (عليه السلام)، مما أدى إلى تكوين انسيابية في النص لعدم وجود فجوة سياقية بين أجزاء النص الواحد ، وبالتالي عدم وجود فجوة بين الأفكار الموحدة المنشودة من خلال هذا التماسك النصي الرصين . وهو الإشارة الواضحة للقوم الذين عصوا الله ورسوله في أمر نص الله عليه عن طريق رسوله أن يكون ، فأبى القوم إلاّ أن يتم أمرهم الشيطاني على أمر رسول الله الرباني ، فزادهم ما فعلوا بعدا عن رحمة الله بحسب ما تقدم من الحجج والبراهين .

الإحالة بالتكرار: التكرار من سمات الفصاحة ، يقول الزركشي (٧٤٩هـ) ((وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة ،ضنا انه لا فائدة له ؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها ، لا سيما أذا تعلق بعضه ببعض)) [٣١]. ويعدّ السيوطي (٩١١هـ) التكرار ابلغ من التأكيد ،وهو من محاسن الفصاحة خلافا لمن غلط ...وقد قيل أن الكلام إذا تكرر تقرر)) [٣٢] ويقصد به ((إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة ، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة)) [٣٣] والتكرار المقصود هنا ليس من باب الزيادة المخلّة التي يمكن الاستغناء عنها ؛ إنّما المراد هو التكرار الذي يوظف ((من أجل تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكونة للنص)) [٣٤] وهذه العلاقة المتبادلة تحصل ((عندما يحيل اللفظ الثاني المكرر إلى اللفظ الأول ممّا يحدث نوعا من الربط بين الجملتين التي حدث فيها التكرار في إطار النص))[٣٥]. ويقسم

التكرار بحسب التوحد بين العناصر المكررة على تكرار الكلمات والعبارات والجمل[٣٦]. وهذا ما تعتمده الدراسة في هذا المبحث . أمّا تقسيم التكرار –بحسب العلاقة بين اللفظ الأول واللفظ المكرر فيقسم على التكرار بإعادة اللفظ نفسه أو بالترادف أو بواسطة كلمة شاملة تندرج تحتها كلمة أخرى ، أو باسم عام أو بالتفصيل بعد الإجمال [٣٧] ؛ وهو ما لم نعتمده في هذا المبحث لأنّه يمزج بين التماسك الشكلي والدلالي ممّا يحدث خلطا بينهما . وقد ((أكدت الدراسات النقدية الحديثة أنّ التكرار هو من أبرز الظواهر الخالقة لشعرية الصوت لما يمتلك من تنغيم مزدوج داخلي وخارجي ، ولما يفصح عنه من (تركيز دال) على أهمية (المكرر) وفاعليته الإيحائية))[٣٨] . ويرى الدكتور الزناد أن التكرار نوع من أنواع الإحالة القبلية وقد سماه (الإحالة التكرارية)[٣٩] . ويمثّل التكرار الوسيلة الأكثر فائدة للربط ؛ إذ انه (خير وسيلة للتذكير بما سبق ، وانه حينما يعدل عنه إنما يكون ذلك توخيا لمبدأ الاختصار) [٤٠] .فإعادة الكلمة أو الكلمات مرة أخرى داخل النص نفسه يمثّل دعما للربط الدلالي. والتكرار بصورة عامة يسمح للمتكلم أن يقول شيئا مرة أخرى بالتتابع مع إضافة بعد جديد له ، وتكرار التعبير يبقي على المرجع نفسه ، وهذا يعني انه يستمر حتى يرسم الوجود نفسه في عالم النص وحينئذ يدعم ثبات النص بقوة هذا الاستمرار الواضح[٤١] . وعلى ذلك يمكن القول إن الأنماط التكرارية تؤسس بنية إحالية لا غنى للمتلقي من الاستناد إليها لتمام الفهم ؛ وبذلك تعكس الإحالة التكرارية القاعدة الخلفية للعناصر الإحالية ، وتضعها في الإطار الدلالي العام للنص ؛ وبذلك تكون القراءة الجزئية المعزولة بين قطبي الإحالة من دون اعتبار العناصر اللسانية المجاورة منعرجا يجنب المتلقي الفهم السليم . وورد التكرار في خطبته عليه السلام بشكل كبير فمنها ما كان بتكرار حروف المعاني ومنها ما كان بتكرار الأدوات ومنها ما كان بتكرار الكلمات ومنها بتكرار الجمل وكذلك بتكرار العبارات والتراكيب . فما كان بأحرف المعاني ،فنجد أن أدوات العطف بأشكالها قد سيطرت على جميع مفاصل الخطبة تقريبا[٤٢] فأدوات العطف واحدة من الأدوات التي تقوم بالتماسك النصي بين الجمل والعبارات وان تكرارها يسمح بترابط مجموعة المتواليات السطحية بعضها ببعض ، فالعطف يقوم بتوليد علاقات دلالية أفقية على مستوى الجمل وعلاقات دلالية رأسية بين الفقرات في بنية النص ، فضلا عن أن العطف يربط بين الجمل والعبارات والنصوص على المستوى الخطي ، فأدوات العطف تجعل من المتواليات الكلامية جملا او نصوصا مسارا خطيا متماسكا[٤٣] وان الإحالة بتكرارها للربط بين تلك المتواليات يزيد النصوص تماسكا عن طريق الربط بين الإشارات الدلالية ووحدة الفكرة. ونجد الترابط والتماسك بين عبارات النص حاضرا عن طريق ربطها بأدوات وعبارات وتراكيب متنوعة للحفاظ على صلابة الفكرة المنشودة وشد انتباه المخاطب إلى ما في النص من غايات تبصر الإنسان في ما غاب عن شعوره من

أهمية تلك الغايات وهذا يأتي من خلال إدراك المتلقي لتلك الغايات مجتمعة وقد برع سيد الفصحاء –عليه السلام– من خلال الإحالات التكرارية المتنوعة في تحقيق ذلك بتوحيد النص في ذهن المتلقي كما جاء بقوله عليه السلام : ((أيها الناس إنه لا شرف أعلى من الإسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا معقل أحرز من الورع ولا شفيع أنجع من التوبة ولا لباس أجمل من العافية ولا وقاية أمنع من السلامة ولا مال أذهب بالفاقة من الرضا بالقناعة ولا كنز أغنى من القنوع ومن أقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة وتبوء خفض الدعة ... أيها الناس إنه لا كنز أنفع من العلم ولا عز أرفع من الحلم، ولا حسب أبلغ من الأدب ولا نصب أوضع من الغضب، ولا جمال أزين من العقل، ولا سوءة أسوأ من الكذب، ولا حافظ أحفظ من الصمت ولا غائب أقرب من الموت ... أيها الناس إنه لا مال [هو] أعود من العقل، ولا فقر [هو] أشد من الجهل، ولا واعظ [هو] أبلغ من النصح، ولا عقل كالتدبير، ولا عبادة كالتفكر، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا وحشة أشد من العجب، ولا ورع كالكف عن المحارم، ولا حلم كالصبر والصمت ...أيها الناس إنه لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل.واعلموا أيها الناس إنه من لم يملك لسانه يندم، ومن لا يعلم يجهل، ومن لا يتحلم لا يحلم ومن لا يرتدع لا يعقل، ومن لا يعقل يهن، ومن يهن لا يوقر، ومن لا يوقر يتوبخ ومن يكتسب مالا من غير حقه يصرفه في غير أجره، ومن لا يدع وهو محمود يدع وهو مذموم ومن لم يعط قاعدا منع قائما، ومن يطلب العز بغير حق يذل، ومن يغلب بالجور يغلب، ومن عاند الحق لزمه الوهن، ومن تفقه وقر، ومن تكبر حقر، ومن لا يحسن لا يحمد))[٤٤]. نلمس في هذا النص روابط إحالية تكرارية تنوعت أنواعه وأشكالها جاءت مجتمعة لتحقيق تماسك نصي منقطع النظير وهذا ينم عن حنكة فصاحية لا تدانيها حنكة . فقد بدأ الإمام –عليه السلام– بداية كل فقرة أو نص بتكرار عبارته (أيها الناس) في إحالة خارجية تستهدف ذهن المتلقي خارج النص وشد انتباهه لما في بعد هذه العبارات من دعوة لها علاقة بالتكوين الفكري والسلوكي للإنسان وما يترتب عليها من رضا وصلاح يستلهمه المتلقي من عبارات النص ككل . وجاءت الإحالة التكرارية بأدوات نحوية مختلفة ومنها النفي بـ(لا)النافية للجنس في مواقع مختلفة وغير قليلة من النص كما في قوله (عليه السلام):((**إنه لا شرف أعلى من الإسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا معقل أحرز من الورع ولا شفيع أنجع من التوبة ولا لباس أجمل من العافية ولا وقاية أمنع من السلامة ولا مال أذهب بالفاقة من الرضا بالقناعة ولا كنز...**))[٤٥] بإحالات قبلية وبعدية تريد أن تشير إلى أجناس تحط من شأن الإنسان وتبعده عن طرق الصلاح إذا لم تتوجه بما أراد الله –عز وجل– وذلك عن طريق مصاحبات نصية تجعل الذهن يقارن ويمايز بين الوجهات التي يجب أن تكون بها تلك الأجناس وقد زاد تكرار نفي هذه الأجناس

في التنبه إلى الوجهات الأفضل ، وجاء تكرار صيغة التفضيل بين تلك الأجناس ليزيدها تماسكا ورصانة في فكرة النص واستنتاج الأصلح من بين تلك الأجناس المحال عليها . ونجد الإحالة التكرارية تزيد النص تماسكا في حالات شتى من خطبته –عليه السلام ومن ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر((**ومن لا يتحلم لا يحلم ومن لا يرتدع لا يعقل، ومن لا يعقل يهن، ومن يهن لا يوقر، ومن لا يوقر يتوبخ**)) [٤٦] فنجد أنّ التكرار بترديداته الصوتية المتمثلة في تكرار الكلمات (يحلم ويعقل ويهن ويوقر) قد ((اشتمل على معطيات أخرى تسهم إلى حد كبير في استقطاب المتلقي نحو بؤر دلالية وتصويرية تقوم هذه البؤر بالكشف عن مستوى تماسك البنية الإبداعية)) [٤٧]. ونجد كذلك أن الإشارات الإحالية التكرارية قد وردت في خطبته بشكل لا يمكن حصره وحصر دلالاته وغايته . فالتكرار في هذه الخطبة وغيرها من خطب أمير المؤمنين –عليه السلام – ((ليس قولا يُقصد منه ملء الفراغ الزمني من حيث الخطاب الملفوظ . أو إشغال الفضاءات النصيّة من حيث الخطاب المكتوب ، إنّما يشير إلى تحديد المعنى المراد))[٤٨]. وفضلا على هذا كلّه فإنّه يدل على التواصل بين ألفاظ هذا المقطع من الخطبة المفضي أثر إلى التماسك بين أجزاء النص بتمامه .إذن التكرار وإن أحدث أثرا موسيقيا في الموقع الذي يرد فيه إلاّ ((أنّ هذا ليس الهدف الوحيد ، لأنّ التكرار مرتبط في جوهره بموقف المبدع الذي يقصد إلى تأكيد لون من المعنى ، ومن هنا يتأتى التداخل الوظيفي بين تأدية الدلالة وإحداث الأثر الموسيقي بالتكرار))[٤٩]. استعمل الإمام التكرار وسيلة من وسائل التواصل وليس لمجرد الوقع الموسيقي أو إبداء الثراء الفني في تلك الخطب ذلك ((أنّ التكرار إذا جاء في سياق غير محتاج له أدى إلى إضعاف الإعلامية))[٥٠]. والمعروف أنّ الإمام–عليه السلام– سواء بوصفه رجل سياسة أم رجل دين فهو أحوج إلى الإعلامية والتواصلية مع من يخاطبهم منه إلى الثراء الفني والوقع الموسيقي. وبذلك نراه قد أوصل النص إلى أرقى حالات القوة والرصانة من خلال التماسك والترابط بين أجزاء النص من جهة وبين النص ووحدة الفكرة من جهة وبينهما وبين فكر المتلقي الذي كشفة له الدلالة العامة والغاية الأساسية من النص ككل .

الخاتمة : وبعد هذا العرض البسيط لبعض أدوات الترابط النصي اللفظية في هذه الخطبة المباركة يمكن القول :

١– إنّ وظيفة وسائل التماسك النصي في خطبة الإمام لم تكن وظيفة فنية بقدر ما هي وظيفة تواصلية قصد الإمام من ورائها التأثير في المتلقي وإيصاله إلى درجة من الفهم لمقصود النص

٢– تبيّن لنا من خلال البحث أنّ وسائل التماسك النصّي متداخلة وغير منفصلة تماما من ذلك أنّنا يمكن أن نُدخل الإحالة ضمن التكرار بمعناه العام ، كما يمكن أن ندخل التكرار

ضمن الإحالة بمعناها العام .

٣- إنّ التماسك الدلالي في خطبه- عليه السلام- واضح جدا في ضوء عدد من العلامات الدلالية التي أنتجتها الإحالة والتي تربط بين أجزاء هذه الخطبة ومن ثمّ تصعيد البناء النصي ليُظهر النصّ قطعة واحدة لا يتبيّن الفصل بين أجزائها .

٤- إنّ كلّ العناصر التي تسهم في إحداث التماسك بين أجزاء النص إنّما هي التي تربط بين بنيتين من بنى النص أو أكثر . أمّا التي تكون على مستوى الجملة الواحدة فليس من اختصاص علم لغة النص . والله اعلم

هوامش البحث :

(١) ينظر نظام الارتباط والربط في الجملة العربية :١٩٥.

(٢) بناء الجملة العربية :٧٤.

(٣)ينظر : علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات:٨٥.

(٤) ينظر : لسان العرب ، والمعجم الوسيط: مادة (حول) .

(٥)ينظر: الإحالة في نحو النص :٥٢٦ .

(٦)النص والخطاب والإجراء :١٧٢ .

(٧)نحو النص :١١٦.

(٨)دراسات لغوية تطبيقية :٨٢

(٩) ينظر: لسانيات النص :١٦-١٩ .

(١٠)ينظر:المصدر السابق :١٧.

(١١) ينظر : نسيج النص :١٨.

(١٢) ينظر: روضة الكافي:٨/٢٠.

(١٣) ينظر :علم اللغة النصي :١/١٢١،ونظرية علم النص :٨٣.

(١٤) ينظر: نظرية علم النص:٨٤ .

(١٥) روضة الكافي:٨/٢٩.

(١٦)ينظر: نظرية علم النص:٨٤.

(١٧) روضة الكافي :٨/٢٠-٢١.

(١٨)مدخل إلى علم لغة النص ،الهام أبو غزالة و علي خليل :٩٢.

(١٩) روضة الكافي :٨/٢٢.

(٢٠) ينظر:التحرير والتنوير:٧/٣٠٣.

(٢١) مغني اللبيب :٤٦٤.

(٢٢) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق:١/١٦١.

(٢٣)ينظر : نسيج النص :١٢

(٢٤)ينظر : مقالات في اللغة والأدب:١/٢٠٠.

(٢٥)ينظر : روضة الكافي :٨/٢٠.

(٢٦)ينظر : لسانيات النص.١٩.

(٢٧)النساء :٨٠ .

(٢٨)آل عمران :٣١ .

(٢٩)هود :١٧.
(٣٠)روضة الكافي:٢٦-٢٧.
(٣١)البرهان في علوم القرآن :٩/٣.
(٣٢)الإتقان في علوم القرآن :١٩٩/٣.
(٣٣) علم لغة النص : ٢/ ٢٠ .
(٣٤) نظرية علم النص : ١٠٧.
(٣٥) إشكالات النص : ٣٥٩ .
(٦٣) ينظر : علم اللغة النصّي : ٢٠/٢ .
(٣٧) ينظر :علم اللغة النصي :٣٠-٣٣ .
(٣٨) المستويات الجمالية في نهج البلاغة :٦٤.
(٣٩) ينظر: نسيج النص : ١١٩.
(٤٠) مقالات في اللغة والأدب:١٩٥/١.
(٤١) ينظر: نظرية علم النص : ١٠٦.
(٤٢) ينظر : روضة الكافي :خطبة الوسيلة ٢٠ وما بعدها.
(٤٣) ينظر : النص والخطاب والإجراء:٣٤٦-٣٤٧.
(٤٤) روضة الكافي:٢١- ٢٢ .
(٤٥) روضة الكافي:٢١- ٢٢ .
(٤٦) روضة الكافي:٢٢ .
(٤٧) خصائص الأسلوب في شعر البحتري:١٠٦.
(٤٨) الخطاب فينهج البلاغة بنيته وأنماطه ومستوياته : ١٠٤ .
(٤٩) الخطاب النقدي عند المعتزلة : ٢٣٦ .
(٥٠) علم اللغة النصي : ٣٣ .

المصادر

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي(٩١١هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت،١٩٨٧م.
٢. الإحالة في نحو النص ، دراسة في النحو والوظيفة ، بحث في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية (العربية بين نحو الجملة ونحو النص) ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة،٢٠٠٥م .
٣. إشكالات النص،(دراسة لسانية نصّية) ، د. جمعان بن عبد الكريم ، النادي الأدبي بالرياض ، والمركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، ٢٠٠٩ م.
٤. البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين الزركشي(٧٤٩هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٣، ١٩٩٧م.
٥. بناء الجملة العربية، د.محمد حماسة ،دار الشرق ، مصر ، ١٩٩٦م.
٦. التحرير والتنوير، محمد طاهر بن عاشور(ت١٢٨٤هـ)، الدار التونسية للنشر،١٩٩٢م.
٧. خصائص الأسلوب في شعر البحتري ، د. وسن عبد المنعم ياسين الزبيدي ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد ، ٢٠١١ م.
٨. الخطاب في نهج البلاغة (بنيته وأنماطه ومستوياته – دراسة تحليلية) ، أطروحة دكتوراه ، عبد الحسين عبد الرضا العمري ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٨ م.

٩. الخطاب النقدي عند المعتزلة ، د. كريم الوائلي ، دار الكتب والوثائق بغداد ، ٢٠٠٦م.
١٠. دراسات لغوية تطبيقية ، سعد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، مصر،٢٠٠٤ م .
١١. روضة الكافي ، محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ) ،ضبطه وصححه وعلق عليه: محمد جعفر شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان،١٩٩٠ م.
١٢. علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق (دراسة تطبيقية على السور المكية) ، صبحي إبراهيم الفقي ، دار قباء ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م.
١٣. علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات) ، د. سعيد حسن بحيري ، ط١ ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٤
١٤. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)،تحقيق د. يوسف البقاعي، إبراهيم شمس الدين وآخرين،ط١،مؤسسةالأعلمي للمطبوعات، بيروت،١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م .
١٥. لسانيات النص ، د. محمد خطابي ،ط٢ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ٢٠٠٦م.
١٦. مدخل إلى علم لغة النص ، إلهام أبو غزالة و علي خليل الحمد ، ط١ ، دار الكاتب ، ١٩٩٢م .
١٧. المستويات الجمالية في نهج البلاغة (دراسة في شعرية النثر) ، نوفل أبو رغيف ، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠٨ م.
١٨. المعجم الوسيط ، قام بإخراجه: مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ط٢، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، استانبول – تركيا ، ١٩٧٠ م .
١٩. مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين عبد الله بن يوسف بن احمد بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ) تحقيق : مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، د.سعد الافغاني ،دار الفكر ، بيروت، لبنان،٢٠٠٥ م.
٢٠. مقالات في اللغة والأدب ، د. تمام حسان، علم الكتب، القاهرة ،٢٠٠٦ م.
٢١. نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي) ، د. أحمد عفيفي ، ط١ ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٤
٢٢. نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً) ، الأزهر الزناد ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،١٩٩٣.
٢٣. النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجراند، ترجمة تمام حسان ،عالم الكتب ، القاهرة ،١٩٩٨ م.
٢٤. نظرية علم النص (رؤية منهجية في بناء النص النثري) ، د. حسام أحمد فرج ، ط٢ ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ٢٠٠٩ م.
٢٥. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ، مصطفى حميدة ،الشركة المصرية العالمية(لونجمان) القاهرة ،١٩٩٦ م.

Summary

The basic function of textual linguistics was to show the coherence between linguistic text units, to reveal grammatical relations, semantic correlations, conjunctive, indicative, and other relationships of the sentence level, on the one hand, and beyond the level of sentence on the other؛ Therefore, this research aims primarily to study the impact of referral in the cohesion and interdependence of the text. We have chosen for this a sermon from the speeches of the Commander of the Faithful Ali bin Abi Talib (peace be upon him) called the sermon (the means) of the study to reveal what literary text and literary art Linguistic and objective. This is done with several tools, including referral. It is one of the important means of cohesion of the text, because it works to strengthen the links between the parts of the text and make them more coherent and cohesive and the researcher's study in the study of referral in the text two methods: the first: the reference pronouns and names linked and the names of the reference .